الحاجة للأزهر

ويجلس الباشا مع لاظ مرة أخرى، ولكن هذه المرة كان مهمومًا حزينًا، فقد فقد اثنين من أبنائه خلال رحلته لتحقيق أهدافه، ولقد بذل لاظ مجهودًا كبيرًا حتى يُعيد للباشا حيويته التي اعتاد أن يراه عليها، وكان الكلام عن تأسيس الجيش هو أكثر ما يُريح الباشا، فدار الحديث حول الجيش، فقد كان اهتمام الباشا بالجيش هو السبب الرئيس لنهضة مصر في عديد من المجالات، فالجيش هو وسيلته لتشييد ملكه وتأسيس دولته له ولأولاده من بعده، وليحقق به الاستقلال والمجد، وليس في منشآت محمد علي ما نال عنايته مثل الجيش المصري.

قال الباشا:

- لابد يا لاظ بك أن يكون تأسيس الجيش وما يحتاجه هو الأساس، بحيث تكون المنشآت الأخرى متفرعة عنه، والفكرة في تأسيسها أو استحداثها إنما هي استكمال حاجات الجيش، فهو الأصل وهي التبع.

- وما أكثر هذه المنشآت أهمية حاليًا يا أفندينا؟

- نريد إنشاء مدرسة للطب لتخريج الأطباء الذين يحتاج إليهم الجيش، وكذلك دور للصناعة الحربية ومصانع للغزل والنسيج لتوفير حاجات الجيش والجنود من السلاح والذخيرة.

- إن كل هذا يا أفندينا يحتاج إلى وجود مدرسين وأطباء ومهندسين وغيرها من المهن.

- أجل يا لاظ، فلابد أن يكون هناك تعليمًا عاليًا، وسيساعدني المسيو دروفتي ليتم استحضار خبراء فرنسيين، وأن تسافر بعثات من مصر إلى فرنسا.

- ولكن من سيسافر يا أفندينا إلى فرنسا وحالة الفلاحين كما ترى؟

- الأزهر يا لاظ بك، هو الجهة الوحيدة في مصر التي يمكنها إمدادنا بأشخاص يصلحون لتكوين هذه الطبقة الجديدة من المثقفين والمتعلمين تعليمًا عاليًا، قبل إنشاء المدارس الابتدائية والثانوية، كما أن طلبة الأزهر قد حازوا من الثقافة قسطًا يؤهلهم للبعثات إلى فرنسا.

وهكذا انطلق محمد علي باشا في مشروعه الكبير، ويعاونه ويتابعه لاظ بك بانبهاره المعهود، وبالطبع كان جمع الأموال بجميع الوسائل هو أهم ما يشغل الباشا لتحقيق أهدافه.